الملحق س

ظهور أنتيوخوس أبيفانس الرابع

وهجومه على منطقة اليهودية

بقلم د. بول تانر

١١ حزيران ٢٠٠١

ملاحظة: قدّم هذا البحث في الأصل إلى قسم اللغات والآداب الشرقية والإفريقية في جامعة تكساس في أوستن كمتطلب جزئي لمساق عنوانه "مفاهيم في الثقافة اليهودية." Concepts in Judaic Culture, Heb, ٣٢. عب ٣٨ في ٨ تموز من عام ١٩٨٧.

المحتويات:

مقدمة

١. تطورات سياسية من الاسكندر إلى أنتيوخوس الرابع

٢. فساد الكهنوت في سياق الهلننة

٣. علاقة منطقة اليهودية بأنتيوخوس على خلفية الحملات المصرية.

٤. اضطهاد أنتيوخوس الديني لليهود

خلاصة

قائمة المراجع

مقدمة

سيركز هذا البحث على الملك السلوقي المعروف بأنتيوخوس أبيفانس الرابع الذي حكم الإمبراطورية السلوقية من ١٧٥–١٦٤ق م. وفضلاً عن شهرته بسبب فظائعه ضد اليهود، التي أدت إلى الثورة المكابية، فإنه شخصية هامة في سفر دانيال حيث يشار إليه في الإصحاحين ٨ و١١. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه نموذج أو طراز لضدّ المسيح المستقبلي (الذي يتنبأ به سفر دانيال أيضاً). ومن هنا، فإن فهماً أفضل لهذا الملك سيفيدنا كثيراً في دراستنا لسفر دانيال.

كانت اليهودية أثناء حكم أنتيوخوس الرابع ترزح تحت سلطة السلوقيين. وسيتتبع القسم الأول من هذا البحث التطورات السياسية التي تلت غزو الاسكندر الكبير لكي نفسر كيفية وصول أنتيوخوس الرابع إلى حكم منطقة اليهودية. وبعد ذلك سنولي عامل الهلننة في اليهودية بعض الاهتمام، وسنتحدث كيف أن هذا العنصر المؤثر أفسد الكهنوت، وهذا أمرٌ ضروري نوعاً ما. ففي وقت اضطهاد أنتيوخوس لليهود، كان الكاهن الأعلى متعاوناً معه. وقد أدت الحملات العسكرية التي شنها أنتيوخوس الرابع على مصر إلى ارتباط أوثق بأرض اليهودية، وأدى هذا في نهاية الأمر إلى عمليات الاضطهاد. وهذا ما سندرسه في القسم الثالث. وأخيراً، سنركز على الفظائع التي ارتكبها أنتيوخوس ضد اليهود. وسنتناول سبب قراره سن قانون ديني يضطهد بموجبه اليهود، بدلاً من اتخاذ إجراءات سياسية.

القسم الأول
تطورات سياسية من الاسكندر إلى أنتيوخوس الرابع

صعد الاسكندر الكبير إلى مركز القوة العالمية بسرعة خرافية، لكن سرعان ما انتهى ذلك بموته المفاجئ في نهاية الأمر في ٣٢٣ق م. وأصبحت السنوات العشرون التالية أو ما يزيد تعرف بفترة الديادوتشي. إذ تنافس قادة الاسكندر الأربعة على المملكة الشاسعة التي تركها خلفه، فحاول أنتيوخوس أن يمد سيطرته ما وراء آسيا الصغرى، واضطر سلوقس (مرزبان بابل منذ عام ٣٢١) إلى الهرب من مصر طلباً لمساعدة بطليموس، واستمر الصراع إلى أن نصّب الجنرالات المقدونيون الأربعة أنفسهم ملوكاً". فأخذ بطليموس مصر، وسلوقس بابل، وكاساندر مكدونيا، وليسماخوس ثريس. وأخيراً انتصروا على أنتيجونوس عام ٣٠١ في معركة أسّوس." استولى ليسيماخوس على الجزء الغربي من آسيا الصغرى؛ وأخذ بطليموس فلسطين، بينما أخذ سلوقس الأراضي المتبقية من سوريا إلى بابل."[١] فكان بطليموس وسلوقس حسب هذا الترتيب القوتين الرئيسيتين. غير أن سلوقس تفوق عليه:

> حصل سلوقس على أوسع جزء من إمبراطوريات الاسكندر، فكانت كل بلاد آسيا من حدود الهند إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط تحت حكمه. وفي عام ٢٨١ هزم ليسيماخوس وألحق آسيا الصغرى بمملكته. ولم تبق إلا فلسطين وجزر البحر الأبيض المتوسط خاضعة لبطليموس.[٢]

[١] V. Tcherikover, Hellinistic Civilization and the Jews, ١٥.

[٢] المرجع السابق.

كان صعباً على سلوقس أن يتحكم بالأراضي الشرقية التابعة له نظراً لتنوعها الكبير. فخسر الهند في وقت مبكر. وأدى ظهور بارثيا في حوالي منتصف القرن الثالث قبل الميلاد إلى تقليص إمبراطوريته واقتصارها على الأراضي الواقعة غرب نهر الفرات. وإلى الجنوب تمكن البطالمة من المحافظة على سلامة إمبراطوريتهم، حتى حوالي ٢٢١ق م على الأقل. وفي ذلك الوقت حاول أنتيوخوس الثالث أن يغزو فلسطين، وأضاف إليه بعض المكتسبات الثانوية. ولفترة من الزمن ساد البطالمة على الرغم من بدء ظهور علامات ضعف: "في عام ٢١٩ هاجم أنتيوخوس الثالث ملك سورية مصر، وخرج بطليموس فيلوباتر الرابع لملاقاته على رأس جيش من المرتزقة؛ وقد عزز قواته بتجنيد عشرين ألف رجل من المصريين. وهزم بطليموس أنتيوخوس عند رافيا (٢١٧)، وأدى نصره الذي شارك فيه المصريون إلى نقطة بداية لعودة الروح الوطنية لمصر."[٣]

على الرغم من هذا الانتصار المؤقت، كانت مصر تضعف، وتشهد على ذلك الانتفاضات الداخلية التي تبعت ذلك. فبعد فترة هدوء قصيرة اتجهت التطورات السياسية في مصر إلى وضع أسوأ. ومات بطليموس فيلوباتر فخلفه بطليموس أبيفانس الخامس. غير أنه لم يتجاوز الخامسة من عمره، فدانت السلطة للأوصياء عليه. غير أن هذا الأمر لم ينجح، وثار غليان داخلي بين المصريين، خاصة في الاسكندرية. وفي عام ٢٠١ق م استغل أنتيوخوس هذه الفرصة وغزا كولي–سورية. ونجحت محاولته هذه باستثناء غزة التي أبقت على تحالفها مع البطالمة.[٤] وأثناء العامين ١٩٩–٨ ق م، استولى أنتيوخوس على كل المدن المحصنة في كولي–سورية، وتم إجلاء المصريين، وصارت هذه المناطق تحت حكم السلوقيين الراسخ.

وفي صراع القوى هذا، تنازعت البلد اتجاهات متضادات.[٥] يقول تشريكوفر إن أنتيوخوس كان مدعوماً من حزب مناصر للسلوقيين في أورشليم، حتى إن رئيس الكهنة سمعان العادل كان يقود هذا التوجه.[٦] وإن من المؤكد أن المجتمع اليهودي كان مخترَقاً أثناء السنوات ٢٠١–١٩٨ عندما حلّت أنطاكية السورية محل الإسكندرية المصرية كمركز للنفوذ والقوة.

ومما عقد عملية إعادة تنظيم المنطقة سياسياً هزيمة أنتيوخوس الثالث في ماجنيسيا على يد الرومان،[٧] وهو حدث جعل المملكة السلوقية تعاني من مشاكل اقتصادية متكررة.[٨]

---

[٣] المرجع السابق ١٤.

[٤] Polybius, XVI, ٤٠, ١ff; XVIII, ٢.

[٥] Jerome, Hieron., in Daniel, ١١,١٤.

[٦] Tcherikover, ٨٠.

يقول جافني،

في عام ١٩٠الحق هزيمة منكرة بأنتيوخوس قرب ماجنيسيا، وأجبره الرومان المنتصرون على توقيع تسوية مذلة. ولما أحست بهذا الأمر المقاطعات الشرقية للإمبراطورية السلوقية، تمردت، فقرر أنتيوخوس أن يمول نكسته الأخيرة على حسابهم، لكنه مات وهو يحاول أن ينهب أحد كنوز الهياكل في إيليمايس.[٩]

جلب موت أنتيوخوس الثالث في عام ١٨٧ق م مزيداً من الفوضى للإمبراطورية السلوقية المتعثرة بالمشاكل، وتولى ابنه، سلوقس فيلوباتر الرابع، الحكم من ١٨٧–١٧٥، لكن اغتياله أدى إلى تولي أنتيوخوس الرابع العرش (على الرغم من أنه لم يكن الوريث الشرعي للعرش). يقول والتكي،

"بعد معركة ماجنيسيا، عاش أنتيوخوس في روما كرهينة في سياق التعويضات التي كان على أنتيوخوس الكبير أن يدفعها. وفي عام ١٧٥ق م أطلق سراحه بناءً على وساطة أخيه سلوقس فيلوباتر الرابع الذي وضع ابنه ديمتريوس الأول رهينة بدلاً منه. وأثناء وجود أنتيوخوس في أثينا، اغتيل سلوقس الرابع على يد وزيره الأول، هيليودوراس. فقام أنتيوخوس الرابع بمساعدة الحصار العسكري لبيرغامينا ملك يومينين الثاني بطرد هيليودوراس واغتصب العرش مستثنياً كلاً من ديمتريوس وابن الملك المغدور الأصغر أنتيوخوس الذي كان لا يزال طفلاً رضيعاً في سورية."[١٠]

---

[٧] جاء الصراع مع روما نتيجة للقوة الكبيرة التي اكتسبها الرومان بهزيمة هانيبال بعد الحرب البونية الثانية (٢٠٢ق م). فوجهت روما اهتمامها ليونان ولمدن أخرى في بحر إيجة. وتم جرّ أنتيوخوس الثالث في نهاية الأمر إلى هذا الصراع. يقول جاجرسما،

"نجح أنتيوخوس في النزول بقواته إلى اليونان واحتلال قسم منها، لكنه ردّ على أعقابه مرة أخرى في السنة التالية (١٩٢ق م). ثم قام الرومان بدورهم بالنزول في آسيا الصغرى حيث ألحقوا هزيمة كبيرة بقوات أنتيوخوس الثالث في ماجنيسيا في عام ١٩٠ق م (انظر دانيال ١١: ١٨). وبعد ذلك لم يكن لدى أنتيوخوس خيار آخر غير أن يعقد صلحاً مع روما. فكان الصلح الذي عقد في أباميا في عام ١٨٨ق م سيئاً جداً له. إذ اضطر أن يتخلى من بين أمور كثيرة عن الأراضي الواقعة غرب طوروس، وأن يترك، الذي سيصير فيما بعد أنتيوخوس أبيفانس الرابع، رهينة في روما، وأن يدفع مبلغ ١٥,٠٠٠ وزنة كجزية. وكان عليه أن يدفع هذه الجزية غير المسبوقة في التاريخ على اثني عشر دفعة سنوية" (*A History of Israel from Alexander the Great to Bar Kockba*, ٣٦–٧..)

[٨] سيؤدي هذا بالإضافة إلى المطالب المالية لحملات أنتيوخوس الرابع ضد مصر، في نهاية الأمر إلى مضاعفات خطيرة بالنسبة لمنطقة اليهودية. فقد أصبحت كنوز الهيكل ذات أهمية سياسية ضمن الإمبراطورية!

[٩] Isiah Gafni, "Antiochus," in *Encyclopedia Judaica*, vol. ٣,p. ٧٣

[١٠] Bruce K. Waltke, "Antiochus IV Epiphanes," in *The International Standard Bible Encyclopedia*, ١: ١٤٥.

غير أن جاجرسما يؤكد أنه أُطلق سراح أنتيوخوس الرابع في ١٧٧ ق م مقابل ديمتريوس، وأنه مكث في أثينا فترة من الزمن.

وهكذا صار أنتيوخوس الرابع، مغتصب العرش، ملكاً على الإمبراطورية السلوقية. ودام حكمه من ١٧٥– حتى ١٦٤. يقول جاجرسما في ما يتعلق بالتأثيرات المبكرة على أنتيوخوس الرابع، "يبدو أن الثقافة والديانات اليونانية على وجه خاص تركت في نفسه انطباعاً قوياً أثناء إقامته الطويلة في روما وأثينا (من ١٨٨–١٧٥ق م)."[١١] وكان أيضاً صاحب بدعة:" . . . فقد تبنى اسم الديانة الوثنية لنفسه، ثيوس أبيفانس، (الإله الظاهر)، ثم استبدل تمثال أبولو، وهو الإله التقليدي للسلوقيين، بتمثال زيوس أوليمبوس على نقيض التقاليد الأنتيوخية.[١٢]

تناول شخصية أنتيوخوس الرابع مؤرخون يونانيون ويهود على حد سواء. وقد خصص بوليبيوس على نحو خاص وصفاً تفصيلياً (اعتمد عليه لايفي وديودوراس في روايتيهما). يلخص تشريكوفر ما ذكره بوليبيوس فيقول:

"كانت تعوزه اللباقة السياسية ولم يعرف كيف يتصرف كما يليق بملك. فكان أحياناً يغادر قصره ويتجول في شوارع عاصمته مع اثنين أو ثلاثة من مرافقيه ويدخل المحلات التجارية وأماكن عمل الحرفيين ويتحدث مع هؤلاء الأشخاص غير الهامين بشكل مطول. وفي إحدى المرات، وفي أثناء إحدى زياراته المعتادة للحمامات العامة، سكب جرّة ملأى بالطيب المعطر على رؤوس المستحمين واستمتع بمنظر الناس وهم يتزحلقون على الأرضية الزلقة، غير قادرين على الوقوف أو المحافظة على توازنهم، وهو من ضمنهم. وذات مرة أثناء احتفال بديع أقامه في أنطاكية، ظهر على المسرح أمام الجمهور كممثل وبدأ يرقص مع الممثلين الآخرين.

. . . اتسم سلوكه تجاه الآخرين بالتناقضات والمفاجئات، إذ كان صامتاً في صحبة أفضل أصدقائه وثرثاراً مع الغرباء؛ كان يعطي بعضهم هدايا ثمينة كالفضة والذهب، بينما يعطي آخرين، ودون سبب واضح، أشياء تافهة كالبلح وحجارة النرد. كان سريع السخط والتوتر، ومليئاً بالتناقضات الداخلية العميقة محاولاً على الدوام أن يقوم بشيء استثنائي يدهش به العالم –كانت هذه خطوط شخصية الملك أنتيوخوس في عيون معاصريه اليونانيين. ومن هنا لا عجب أن الكتّاب الفكاهيين كانوا يهزؤون به ويدعونه مازحين إبيمينز Epimanes (أي "المجنون") بدلاً من أبيفانس ("الإله الظاهر")."[١٣]

---

[١١] Jagersma, ٤٥.

[١٢] المرجع السابق.

[١٣] Tcherikover, ١٧٦–٧. Based on Polybius XXVI, ١٠; XXXI, ٣-٤, Livy XLI, ١٩–٢٠; Died. XXIX, ٣٢; XXXI, ١٦, ١–٢٠.

القسم الثاني
فساد الكهنوت في سياق الهللنة

لكي يفهم المرء ويقدّر بشكل كافٍ التطورات التي أدت إلى عمليات الاضطهاد التي قام بها أنتيوخوس أبيفانس الرابع، فإن عليه أن يفهم السياق الذي ظهرت فيه. فهنالك عنصر أساسي هو الهللنة. ربما حكم الاسكندر الكبير العالم لمدة قصيرة، لكنه ترك خلفه تركة قوية مع انتشار الثقافة والفكر اليونانيين في الشرق، ولم تكن منطقة اليهودية استثناء لذلك. إذ كان التأثير اليوناني واضحاً على اليهودية قبل مدة طويلة من اعتلاء أنتيوخوس الرابع العرش. غير أنه كان داعية قوياً للفلسفة الهلينية، وسعى إلى نشرها عبر إمبراطوريته. وغالباً ما تركز التكريس للفلسفة اليونانية على مسألة التعليم اليوناني والحجرات أو الساحات الرياضية التي ينمّى فيها هذا التعليم. يقول تشريكوفر،

> كان المواطن يعلم ابنه في المعاهد التعليمية التابعة للبلدية –وكانت الألعاب الرياضية والتدريب العسكري هي التي تجسّد الروح الهلينية. فهنا تلقى الشباب تعليمهم الهليني، وطوّروا قوتهم ويقظتهم بالتمرين الجسدي، وتعلموا الشعر والموسيقى؛ صحيح أن هذا التعليم كان مفروضاً على المواطنين كواجب مطلق، لكن لم يكن أحد يعمد إلى تجنبه.
>
> . . . أصبحت الألعاب الرياضية رمزاً للهلينية ككل . . . وكان المواطن الرياضي الذي ينهي تعليمه الرياضي ويفي بمتطلباته متحلياً بالسلوك الرياضي يُعتبر واحداً من أكثر الرجال احتراماً وتكريماً في المدينة.[١٤]

في بداية الأمر لم تبدُ الميول الهلينية خطراً يهدّد اليهودية، ورأى مواطنون كثيرون أن التعليم اليوناني ذو قيمة. غير أن التعلق بالهلينية صار مع الوقت مشكلة كبيرة أدّت إلى صراع كبير بين دعاة الهللنة والأشخاص المحافظين ضمن اليهودية.

وصلت جماعة يهودية هلّينية إلى مركز السلطة في أورشليم في الثلث الأول من القرن الثاني ق م. وكان يتزعمهم يهود أرستقراطيون مثل يوسف بن طوبيا وابنه هيركانوس. ومن الواضح أن ظواهر الهلينية قد جذبتهم؛ وكان تعلقهم بالهلينية في بادئ الأمر ذا بعد اجتماعي لا ثقافي وديني. وقد حمل ياسون الكاهن الأعلى تعلقه في الهيلينية إلى درجة إنه أسس معاهد تعليمية يونانية وأماكن لتعليم الألعاب الرياضية والتدريبات العسكرية، واعتبر أورشليم مدينة يونانية كأنطاكية –في– أورشليم. لكن ياسون كان هلينياً معتدلاً بالمقارنة مع مينيلاوس الذي أحدث توليه منصب الكاهن الأعلى حرباً أهلية بين الأحزاب، حيث دعم الطوبياويون مينيلاوس، بينما وقفت جماهير الشعب وراء ياسون.

---

[١٤] المرجع السابق، ٢٧.

وكما بيّن الباحثون بكرمان وتشريكوفر وهنغل، فإن دعاة الهلّينية، وعلى رأسهم مينيلاوس وأتباعه، هم الذين أثروا في أنتيوخوس أبيفانس بحيث قام بعمليات اضطهاد للديانة اليهودية لكي يخمد تمرد الحسيديين (الغيورين) (the Hassideans) الذين دعمتهم الجماهير في أورشليم وتمردوا ضدّ دعاة الهلننة."[١٥]

تطوّرت نزعات أقوى باتجاه الهلينية بشكل طبيعي في السنوات ٢٠١–١٩٨ق م عندما كانت منطقة اليهودية تنتقل من حكم البطالمة إلى حكم السلوقيين، خاصة أن الشخصيات الأكثر نفوذاً في أورشليم كانت مناصرة للسلوقيين (بمن في ذلك الطبقة العليا من الجماعة الكهنوتية ورئيس الكهنة نفسه)، والطبقة الأرستقراطية في أورشليم [أعضاء الجيراوسيا Gerousia]، والأغنياء [أبناء يوسف بن طوبيا]. غير أنه لم يكن هنالك خرق شديد للحياة الدينية في منطقة اليهودية في بداية الأمر. وصدرت مراسيم من أنتيوخوس الثالث تسمح لليهود بأن يحيوا حسب شرائع أجدادهم.[١٦] يقول تشريكوفر،

> تدل الوثائق التي أصدرها أنتيوخوس الثالث بشكل صريح على أنه لم تكن للملك نيّة في تغير طريقة الحياة في منطقة اليهودية بفرض ميول يونانية. بل على العكس من ذلك، فقد أدّت أوامر أنتيوخوس إلى تقوية نفوذ الكهنة. وقد عفاهم من الضرائب وأعطى لوصايا التوراة شرعية القانون الرسمي.[١٧]

ويقول تشريكوفر إن النزعة إلى الهلننة كانت مطمح بعض اليهود أنفسهم (خاصة من بين أعضاء الأرستقراطية الحاكمة)، ولم تكن شيئاً فرض عليهم بالقوة.[١٨] وبطبيعة الحال كان الفكر الهليني مفتوحاً أمام الانتقاد، خاصة لأن الشباب اليهود المشتركين في حياة الألعاب الرياضية كانوا يمارسون الرياضة وهم عراة. وفضلاً عن ذلك، كانت الهلننة تعني انتشار الآلهة اليونانية في منطقة اليهودية (على الرغم من أن هذا لم يأخذ على الأرجح مأخذ الجد من قبل اليهود؛ إذ لا يوجد دليل على وجود ديانة وثنية هناك تقوم على هذا الأمر).

كان هنالك تطور هام وازى في تأثيره حركة الهلننة، ألا وهو خلق منصب "البروستازيا" (رئيس اليهود). كان هذا المنصب في بداية الفترة الهلينية بين يدي الكاهن الأعلى، وشملت مسؤوليته جمع الضرائب في اليهودية. لكن نشأ صراع انتقل بموجبه منصب "البروستازيا" من الكاهن الأعلى أونياس إلى يوسف بن طوبيا.

---

[١٥] "Hellenism," in *Encyclopedia Judaica*, vol. ٨, p. ٢٩٥.

[١٦] Josephus, *Antiquities*. XII, ١٣٨ff., ١٤٥ff.

[١٧] Tcherikover, ٨٨

[١٨] المرجع السابق.

برزت من هذه النقلة عشيرة الطوبياويين الذين صارت لديهم القوة أو النفوذ للتأثير في الأحداث السياسية للبلد. ويبدو أن عشيرة الطوبياويين كانوا بالفعل المحرضين الرئيسيين على الإصلاح الهليني في اليهودية، وذلك بسبب الثروة الهائلة التي جمعها يوسف بن طوبيا كجابي ضرائب مدة طويلة.[١٩]

وعاد التمثيل الرسمي للشعب أمام الملك (أي البروستازيا) إلى الكاهن الأعلى في زمن سمعان العادل. لكن الطوبياويين ظلّوا يمارسون ضغطاً اجتماعياً هائلاً، وسعوا إلى التأثير في إدارة الهيكل. وفي هذا الوقت كانت خزينة الهيكل كانت قد جمعت ثروة عظيمة. فبالإضافة إلى الأموال العامة، كان مال الأفراد الشخصي يحفظ هناك على سبيل الوديعة.[٢٠]

ولّما مات سمعان، خلفه ابنه أونياس الثالث. لكن أونياس كان متعاطفاً مع المصريين وجعل سياسته مناصرة للبطالمة. ولم يرضِ هذا الحكم السلوقي والطوبياويين الذين يدعمونهم. وكان الطوبياويون متلهفين على إخراج أونياس من مركز القوة والنفوذ. ونجحوا من خلال شخص آخر اسمه سمعان أيضاً (ناظر الهيكل) في إثارة المتاعب لأونياس مع السلطات السلوقية. ومع تدهور الأحوال في أورشليم، أحس أونياس بضرورة مثوله أمام سلوقس الرابع. غير أن هذا توافق زمنياً مع موت سلوقس واستيلاء أنتيوخوس الرابع على العرش. وأثناء غياب أونياس انتهز الطوباديون الفرصة في ضمان وجود كاهن أعلى آخر أكثر تعاطفاً مع رغبتهم. ومن المثير للاهتمام أنهم استطاعوا أن يحصلوا على تعاون أخي أونياس، يشوع (الذي غيّر اسمه العبري إلى الاسم اليوناني ياسون). استغلّ ياسون فرصة كونه عضواً في العائلة الشرعية التي تؤهّله أن يكون كاهناً أعلى، لكنه كان أكثر تعاطفاً مع الطوبياويين ودعاة الهلّينية. فكانت خطوته التالية أنه سافر إلى أنتيوخوس ليرشوه:

> وعد ياسون الملك بأن يعطيه ٦٠ وزنة أخرى فوق الثلاث مئة وزنة العادية التي تُدفع كجزية سنوية بالإضافة إلى ٨٠ وزنة 'من مصدر دخل آخر' (٢ مكابيين ٤: ٨)؛ وبهذا المبلغ اشترى منصب الكاهن الأعلى من أنتيوخوس.[٢١]

وكما سبق أن أشرنا، فإن العرش السلوقي كان دائماً في حاجة إلى مصدر دخل، فصارت مسألة تغيير الكاهن الأعلى مسألة بسيطة لأنتيوخوس الرابع. غير أن الكاهن الأعلى فعل ما هو أكثر من قطع وعد بالمال للملك. فقد رغب أيضاً في تحويل أورشليم إلى مدينة يونانية تدعى أنطاكية.

---

[١٩] Cf. Josephus, *Antiquities*, XII, ٢٣٧ff.; *War'* ١.٣١ff.

[٢٠] Josephus, *War*, VI, ٢٨٢; II Macc. ٣: ١٠–١٢.

[٢١] Tcherikover, ١٦٠.

حتى إنه وعد بمزيد من المال مقابل السماح له ببناء قاعة للألعاب الرياضية وقاعة أخرى للتدريب العسكري في أورشليم وتسجيل أهل أورشليم على أنهم أنطاكيون (٢ مكابيين ٤: ٩) . وقد كانت هذه بداية انطلاق أورشليم إلى قمة الهلننة والعادات الأجنبية. غير أنه لا يوجد دليل مادي على أن الديانة اليهودية نفسها تغيّرت تغييراً ذا شأن، أو أن الشريعة الموسوية أُلغيت.

وهكذا عمل ياسون كاهناً أعلى أثناء السنوات ١٧٥/٤-١/١٧٢، على الرغم من عدم وجود تفاصيل حول هذه الفترة. غير أن الطوبياويين حاولوا مع مرور الزمن أن يطيحوا به ويأتوا برجل أكثر إخلاصاً لهم. فكان مينيلاوس أخو سمعان ناظر الهيكل مرشحهم الجديد . وإنه لأمر ذو دلالة أنه لم يكن لمينيلاوس أي حق على الإطلاق في أن يكون كاهناً أعلى. فاندلعت حرب أهلية بسبب محاولة تعيينه بدلاً من ياسون (حيث وقف معظم الشعب إلى جانب ياسون) . غير أن مينيلاوس تمكن من الذهاب إلى أنتيوخوس ودفع مال أكثر مما دفع ياسون مقابل منصب الكاهن الأعلى وهكذا عاد مينيلاوس كاهناً أعلى، وهرب ياسون إلى أرض عمّون (٢مكابيين ٤: ٢٥-٦) . وبما أن مينيلاوس حصل على منصبه ضد إرادة سكان أورشليم، فإنه لم يكن ليقدر أن يحافظ على منصبه إلاّ بالقوة الوحشية، وفضلاً عن ذلك، وجد صعوبة في الوفاء بالتزاماته المادية للعرش، ورأى أن من الضروري أن يزور أنطاكية. وأسفرت هذه الزيارة عن نتيجتين. أولاً، رتّب مينيلاوس لاغتيال أونياس، الكاهن الأعلى الشرعي على يد أندرونيكوس، وهو مسؤول عالٍ لدى أنتيوخوس. فغضب الملك جداً لذلك، وأمر بقتل أندرونيكوس. ولم ينجُ مينيلاوس نفسه من الموت إلاّ بتقديم مزيد من الرشوة. ثانياً، كان مينيلاوس قد ترك أخاه ليسيماخوس مسؤولاً كنائب له في أورشليم. قام ليسيماخوس بنهب كنز الهيكل من الآنية التي كان مينيلاوس يحتاجها . فاكتُشف عمله هذا، فصرخ الشعب صرخة عظيمة، ودارت معركة كبيرة في الشوارع قُتل فيها ليسيماخوس (٢ مكابيين ٤: ٣٩-٤٢) . يقول تشريكوفر،

> أثار هذا العمل المتمرد حفيظة سكان أورشليم؛ إذ كان كنز الهيكل الذي جمع جيلاً بعد جيل مُلكاً لكل إسرائيل، فكان من الصعب التسامح مع مجموعة من الشعب تتصرف فيه كأنه لها . وفضلاً عن ذلك، أصبح الهيكل، هذا المركز الوطني والديني، في أيدي أُناس نبذوا كل الكوابح الدينية وتبعوا عادات غريبة تخص شعوباً أخرى.[٢٢]

عمل هذا كله على إضعاف مركز مينيلاوس. فعلى الرغم من أنه استطاع الحفاظ على دوره ككاهن أعلى، إلاّ أنه صار على خلاف أكبر مع السكان. واستاء منه الملك أيضاً، وجيء به إلى المحاكمة أمام أنتيوخوس، ولم ينجُ إلاّ بفضل الرشوة والخداع. إن من الواضح أن الوضع في أورشليم كان يتدهور، وتزايدت المقاومة باضطراد ضد المرتبطين بالهلننة والمتعاطفين مع السلوقيين (خاصة مينيلاوس) . وفاق عبء الضرائب في زمن الحكومة السلوقية (خاصة منذ صلح أباميا في عام ١٨٨ق م) ذاك الذي كان أثناء حكم البطالمة. ومن هنا بدأت تظهر الآراء المؤيدة للبطالمة، وهي مسألة أقلقت أنتيوخوس الرابع كثيراً لأنه دخل في صراع مسلح نحو ذلك الوقت.

[٢٢] المرجع السابق، ١٧٣ .

القسم الثالث
علاقة منطقة اليهود بأنتيوخوس على خلفية الحملات ضد مصر

رغب أنتيوخوس الرابع في توسيع حدوده، وتحيّن الفرصة لتحقيق ذلك من خلال حملة عسكرية على مصر. جعل البحث عن مزيد من القوة والنفوذ (وربما الربح المالي) ولاء منطقة اليهودية مسألة ذات اعتبار هام، لأن اليهودية كانت في منطقة متوسطة بين هاتين القوتين. ولا يمكن إغفال الحالة السياسية لمملكة أنتيوخوس الرابع. يقول ماكلاّو،

> . . . كان أكثر ما يهم أنتيوخوس في اليهودية موقعهم على الحدود الجنوبية لمملكته. فكان أمراً ضرورياً له أن يسود السلام والأمان في تلك المناطق. ولكي يضمن مثل هذا السلام، سعى إلى تعاون كاهن أعلى يهودي يشكل شخصية سياسية بصفته الرئيس المعترف به لليهود في فلسطين.[٢٣]

قام أنتيوخوس الرابع بحملاته العسكرية على مصر ما بين ١٦٩–٦٧ق م وكان الكاهن الأعلى أثناء هذه الفترة هو مينيلاوس، في وقت وصل فيه التوتر مع أنطاكية إلى ذروته. ويجب علينا أن ننظر إلى الاضطهاد الديني الذي قام به أنتيوخوس الرابع في عام ١٦٧ق م في ضوء الأحداث المتعلقة بالحملة المصرية. وقد طرح الباحثون أسباباً كثيرة لتفسير أعمال أنتيوخوس الرابع منها شخصيته، ومحاولاته توحيد الإمبراطورية بتأسيس دين واحد، ودوافع سياسية كإعادة بناء قوة مملكته المتحللة، وتكريسه للروح والثقافة الهلينيتين، وحتى فكرة أن أنتيوخوس لم يكن المجرم الحقيقي بل كان المجرمون الحقيقيون أشخاصاً من اليهود أنفسهم (بالإضافة إلى الأسباب السابقة).[٢٤] غير أن تشريكوفر يطرح نظرية مفادها أن الاضطهاد الديني الذي قام به أنتيوخوس الرابع يعود إلى التطورات التي حدثت أثناء حملاته العسكرية ضد مصر، خاصة التمرد الذي بدأ يطفو إلى السطح في أورشليم.

يصعب الحديث عن الحملات العسكرية لأن عددها وتاريخها أمر غير واضح، وهي أمور خلافيّة بين الباحثين. وفضلاً عن ذلك، فإنه من غير الواضح تماماً عدد المرات التي زار فيها أنتيوخوس الرابع أورشليم في سياق هذه الحملات العسكرية.

---

[٢٣] W. Stewart McCullough, The History and Literature of the Palestinian Jews From Cyrus to Herod, ١١٢.

[٢٤] الفكرة الثانية هي من اقتراح بكرمان، ونجدها في Der Gott Der Makkabaer "ويفترض بكرمان أن أنتيوخوس، وهو ملك يوناني التعليم وتلميذ للأبيقوريين، ما كان ليبدأ الاضطهاد . . . . . لم يكن أنتيوخوس بل كان المصلحون الهلّينيون في أورشليم، والكاهن الأعلى مينيلاوس مجموعة هم الذين أصدروا هذه المراسيم المتسمة بالاضطهاد. اقتصرت وظيفة أنتيوخوس على إبطال حكم التوراة في اليهودية، وكان اليهود الداعون إلى الهلننة هم الذين ملأوا هذا الإبطال الرسمي بمضمون حقيقي (Tcherikover, ١٨٣; cf. I Macc. I. IIff., II Macc. ٤vff.: ١٣: ٤) ويبني تشريكوفر اعتراضه على أساس أننا نجد في المصادر ربط الاضطهاد باسم أنتيوخوس وحده، دون أية كلمة عن ياسون أو مينيلاوس كممارسين للاضطهاد الديني.

غير أنه يوجد شيء من الإجماع على أن أنتيوخوس الرابع قام بحملتين كبيرتين على مصر. ينبهنا تشريكوفر إلى إن "... دراسات أوتو وبكرمان تجعلنا نتيقن أن حملة أنتيوخوس الأولى على مصر حدثت في عام ١٦٩، والثانية في ١٦٨ق م."[٢٥] أما زيارات أنتيوخوس إلى أورشليم من حيث زمنها وعددها فمسألة أكثر جدلاً. وتوجد ثلاث تقارير تخبر عن نهب الهيكل من قبل أنتيوخوس الرابع أو بناء على أوامره (١ Macc. ١: ٢٠–٢٥؛ ٢ Macc. ٥: ١١–١٤، and Josephus, *Antiquities*, XXI, ٥: ٢–٤). غير انه لا توجد معلومات واضحة إن كان الهيكل قد تعرض للنهب في مناسبتين مختلفتين. يلاحظ جاجيرسما أن الرواية في ٢ مكابيين ٥

> ... تُذكر عملية نهب للهيكل رافق فيها مينيلاوس أنتيوخوس الرابع كدليل. ويقال إن عملية النهب هذه حدثت بعد حملة أنتيوخوس الثانية على مصر وتمرد ياسون. ويفترض أن الملك فسر هذا التمرد على أنه عصيان من منطقة اليهودية عليه (٢ مكابيين ٥: ١١) وأنه احتل أورشليم في ذلك الوقت بالقوة. ويقال إن آلاف المواطنين قتلوا بينما سيق آخرون عبيداً. ويفترض أن نهب الهيكل في عام ١٦٨ حدث على هذه الخلفية."[٢٦]

يدافع تشريكوفر (١٨٦) عن نظرية وجود زيارتين بعد عودته من كل من حملتيه على مصر. غير أن إميل شورر يدعم فكرة أن أنتيوخوس زار أورشليم مرة واحدة فقط كانت في الستينات من القرن الثاني ق م، أي خريف ١٦٩ق م.[٢٧]

---

[٢٥] Tcherikover, ١٨٦.

[٢٦] Jagersma, ٤٩.

[٢٧] Emil Shurer, *The History of the Jewish People in the Age of Jesus Christ* (١٧٣ B.C- A.D. ١٣٣), ١٥٢–٥٣. ويقول شورر إنه توجد ثلاثة أسباب للافتراض أن أنتيوخوس زار أورشليم مرتين: (١) استنتاج من دانيال ١١: ٢٨–٣١ :(٢) تصريحات في ١و٢ مكابيين : (٣) رواية يوسيفوس في Antiquities (XII ٥, ٢–٤). ويحلل شورر كل واحدة من هذه الأسباب، يقول،

"وهكذا فإن دانيال يشير بوضوح إلى مرحلتين من الإجراءات، واحدة بعد حملة ١٦٩ق م، والثانية في ١٦٨؛ لكنه لا يشير بشكل صريح واضح إلى وجود أنتيوخوس في أورشليم في أي من المرتين" (١٥٢). أمّا بالنسبة لروايات ١و٢ مكابيين، فإنه يقول إن ٢ مكابيين لا تذكر شيئاً عن الحملة "الأولى"، والرواية المذكورة في ١ مكابيين ١: ٢٠–٣ تشبه إلى حد كبير تلك المذكورة في ٢ مكابيين ٥: ١١–٢١ (معتبراً أن τὴν δευτέρον ἄφοδον في ٢ مكابيين ٥: ١ إشارة إلى المرحلة الثانية من حملة ٦٩/١٨٠ ق م. وأخيراً فإنه يلاحظ أن يوسيفوس هو المصدر الوحيد الذي يتحدث بصراحة عن زيارتين قام بهما أنتيوخوس إلى أورشليم، لكن روايته لا تؤخذ بعين الاعتبار لأن "روايته مليئة بالتشويشات، وهذا ناتج على ما يبدو عن دمج متسرع جداً لوثائق سابقة" (١٥٣). ويخلص شورر في حديثه، "ونتيجة لذلك، يجب أن نستنتج أن أنتيوخوس زار أورشليم في ١٦٩ق م، وأن محاولة الانقلاب التي قام بها ياسون حدثت في وقت سابق من تلك السنة. ولا يوجد سبب يجعلنا نشك أن "المايسارتش" Mysarch، أبولونيوس (وهو الاسم المعطى له في ٢ مكابيين ٥: ٢٤)، وصل في عام ١٦٧ق م" (١٥٣). ومن شأن إعادة ترتيب الأحداث على هذا النحو أن تؤدي إلى رفض فرضية تشريكوفر التي ارتكزت على محاولة ياسون الانقلابية (في وقت الحملة الثانية) كعامل رئيسي أدّى إلى عمليات الاضطهاد في ١٦٧ق م.

إن تقديم بحث وافٍ يحل هذه المسألة أمر يتجاوز مجال هذه الدراسة، لكن وجهة نظر تشريكوفر تبدو أكثر معقولية. فعلى الرغم من أن الباحثين ينتقدون يوسيفوس في نقاط كثيرة (بمن فيهم تشريكوفر نفسه)، إلاّ أنه يذكر على نحو محدد زيارتين قام بهما أنتيوخوس، ولا تعارض هذا الأمر مصادر المعلومات الأخرى. وفضلاً عن ذلك، فإن من المعقول أن نعتقد أن أنتيوخوس الرابع زار أورشليم أثناء كل من حملتين العسكريتين على مصر. إذ كان عليه أن يمر من منطقة قريبة من أورشليم في طريقه إلى أنطاكية، وكان له اهتمام كبير بشؤون أورشليم، حيث كانت منطقة عازلة بينه وبين مصر. وقد سبق أن تعامل عدة مرات مع أورشليم ومع كل واحد من رؤساء الكهنة (خاصة مينيلاوس) مما جعله يبقى على حذر بالنسبة لشؤون أورشليم، ناهيك عن اهتمامه الكبير بالإمكانات المالية لكنز الهيكل.

كانت حملة أنتيوخوس الرابع الأولى على مصر ناجحة حيث إنها وجّهت هزيمة لمصر. وعيّن حاكمين على البلاد في موقعين مختلفين لكي يمنع مركزية القوة، ثم عاد إلى أنطاكية عن طريق أورشليم. ويرجح أنه وصل أورشليم في نهاية عام ١٦٩ق م، على الرغم من أن العلاقات مع أورشليم كانت ودية بشكل عام في السابق.

"مدّ أنتيوخوس في هذه الزيارة يده إلى كنوز الهيكل ونهبها. وتعطينا أيضاً ١ مكابيين (١: ٢٠ فصاعداً) رواية مفصلة لنهب آنية الهيكل وتصف كيفية تزيين المكان. وبطبيعة الحال فإن هذا ترك إحساساً بالبغض العنيف بين الشعب، وبما أن الوقت كان وقت حرب، فقد اتخذ هذا البغض صبغة سياسية."[٢٨]

ربما دفعت المطالب المالية المتزايدة للحملة العسكرية الأخيرة أنتيوخوس إلى هذا التصرف ضدّ كنوز الهيكل. وفي عام ١٦٨ق م، قام أنتيوخوس بحملة عسكرية أخرى ضدّ مصر، لكن نتيجتها كانت خيبة مُرّة له. كان بطليموس السادس قد أُجبر في الحملة السابقة على توقيع معاهدة، لكنه سرعان ما خرقها، فبدأ أنتيوخوس في عام ١٦٨ق م حملة جديدة ضد مصر.[٢٩] ومرة أخرى بدأ يتفوق في المعركة، لكن وصول سفن من روما (لاحظ دانيال ١١: ٢٩–٣٠) أحبط جهوده. يقول والتكي،

. . . قام الموفد الرسمي الروماني سي. بوبيلوس لايناس بتسليم أنتيوخوس إنذاراً من مجلس الشيوخ، وقام بغطرسة برسم دائرة حول أنتيوخوس مطالباً إياه بجواب قبل خروجه من الدائرة. فأُجبر أنتيوخوس على التراجع إلى سورية ضمن فترة محددة.[٣٠]

---

[٢٨] Tcherikover, ١٨٦–٨٧.

[٢٩] Jagersma, ٤٤.

[٣٠] Bruce K. Waltke, "Antiochus IV," in *ISBE*, ١: ١٤٥. Cf. Polybius xxix.٢. ١–٤; ٢٧. ١–٨; Livy xiv.١٢,١–٦; Diodorus xxxi.٢: Appian Syr. ٦٦; Justinus xxxiv.٣.

وأثناء سير أنتيوخوس في طريق العودة إلى سورية، وهو مليء بالمرارة والخيبة، فكّر في أن تأمين خضوع اليهودية أكثر أهمية مما سبق . . . لا خوفاً من مصر التي صارت مستقلة الآن فحسب، بل أيضاً لتهديد روما من الجنوب. ولا شك أنه أمِل أن يجد النظام سائداً في أورشليم.

القسم الرابع
الاضطهاد الديني الذي قام به أنتيوخوس ضد منطقة اليهودية

لم يجد أنتيوخوس النظام سائداً في أورشليم كما كان يأمل! إذ كانت قد حدثت ثورة أثناء حملة أنتيوخوس الثانية على مصر. وعاش ياسون الكاهن الأعلى السابق الذي ينتمي إلى نسل صادوق عبر نهر الأردن منذ أن عزله أنتيوخوس لمصلحة مينيلاوس. لكن ياسون قام أثناء حملة أنتيوخوس الثانية على مصر بمحاولة لاستعادة السيطرة على أورشليم. وربما كان السبب وراء عمله الجسور هذا أخباراً غير صحيحة عن موت أنتيوخوس (لاحظ ٢ مكابيين ٥: ٥)، ولا شك أنه كانت هنالك عواطف قوية تجاه مصر في ضوء تعاون مينيلاوس مع أنتيوخوس بعد الحملة الأولى على مصر.

نتج عن الثورة التي قادها ياسون موت عدد كبير من الناس، واضطر مينيلاوس إلى اللجوء إلى القلعة (٢ مكابيين ٥: ٥–٦). غير أن ياسون لم يتمكن من المحافظة على سيطرته واضطر إلى الهرب من أورشليم إلى شرق نهر الأردن. ويقول تشريكوفر إن السيطرة على المدينة دانت لخصوم الملك–أعداء الفكر الهليني– وإن ياسون هرب من وجه هؤلاء.[٣١] وسيشكل هؤلاء حزب الحسيديم، وهو حزب ظهر ضمن الدينة اليهودية من أفراد مخلصين جداً للعهد الموسوي ومعادين لتأثير الفكر الهلّيني.

وعلى الرغم من فشل ثورة ياسون، إلاّ أن أخبار هذه الأحداث لم تجد وقعاً حسناً عمد أنتيوخوس. يقول ماكلاوغ،

> لم يسرّ أنتيوخوس بأخبار العصيان المسلح، وفي أثناء عودته من مصر لا شك أنه كان مغتمّاً جداً بسبب فشله هناك، وفسّر الأحداث في منطقة اليهودية على أنها ثورة عليه شخصياً. فذهب إلى أورشليم ليؤدب سكانها بطريقة قاسية إلى أبعد حد (٢ مكابيين ٥: ١١–١٤؛ انظر دانيال ١١: ٢٩–٣٠).[٣٢]

[٣١] Tcherikover, ١٨٧–٨٩.

[٣٢] McCullough, ١١٤.

ولا شك أن أنتيوخوس أحس، في ضوء الأحداث مع مصر وروما، بأنه مجبر على توصيل رسالة بأنه لا تسامح مع العصيان المسلح. إذ لا تفسير لهذه المعارضة للهلننة والسلطة السلوقية إلاّ على أنها تعاطف مع مصر، فلا يمكن أن يحصل المتمردون على دعم لحركتهم التحريرية إلاّ من مصر. ولهذا أمر عند وصوله إلى أورشليم بهدم أسوار المدينة، وقام بذبح آلاف اليهود وبيع عدد أكبر منهم عبيداً (٢ مكابيين ٥: ١١ فصاعداً) وفضلاً عن ذلك، دخل قدس الأقداس بنفسه، وكان مينيلاوس دليلاً له في ذلك. ولّما غادر المدينة ترك وراءه فيليب، آمر المرتزقة الفريجيين، مسؤولاً عنها (٢ مكابيين ٥: ٢٢).

وقد استمرت على ما يبدو روح التمرد مما جعل أبولونيوس، رئيس المرتزقة الموسيين Moesian يستولي على المدينة في يوم السبت (يرفض أن يقاتل فيه المتدينون الأمناء). "وكان أنتيوخوس قد عهد إلى أبولونيوس بمهمة إخماد الخطر الذي يهدد سلام المملكة من اليهود المتمردين بشكل نهائي."[٣٣] وانتقل الآن تركيز الأحداث على تلك المرتبطة "بالأكرا" Akra.

من بين الإجراءات التي اتخذها أبولونيوس لضمان ولاء المدينة للملك السلوقي، كان هنالك إجراءان غيّرا وضع أورشليم بشكل كامل: بناء القلعة المعروفة باسمها اليوناني، أكرا، والتي صارت مركز المدينة الجديدة، وإقامة "كاتويكيا" أي مستوطنة من الجنود الأجانب داخل أورشليم. فكان وجود هذه المستوطنة ضربة قاسية جداً. وكانت بداية معارضة جماهيرية سرعان ما تحولت إلى عصيان عام. وتشهد أمثلة كثيرة من التاريخ اليوناني والروماني أن تأسيس كاتويكيا أو مستوطنة من الجنود في مدينة هادئة عنى دمارها الكلي.

من المؤكد أنه لم تكن لدى هؤلاء الجنود النيّة في الاستخفاف بما اعتبروه ديانة لإله محلي لا ترقى إلى دياناتهم، لكنهم لم يرغبوا في نفس الوقت في التخلي عن عاداتهم الدينية وآلهتهم التقليدية. وبما أن المستوطنة، الأكرا، التي صارت المركز الجديد لمدينة أنطاكية–في–أورشليم هي مقرهم، فإن من الواضح أنهم كانوا يُعتبرون مواطنين دائمين في هذه المدينة، سواء حصلوا على مواطنة كاملة أو أُلحقوا بها كغرباء مُنحوا وضعية المقيمين الدائمين. وقد رغب المواطنون الجدد في مدينة أنطاكية –في– أورشليم في أن يعبدوا الآلهة المألوفة لهم في الهيكل أيضاً: أولاً الإله السوري الأعلى باسال شامين والإله السوري المعروف بأسماء مختلفة مثل أناث واللات، إلخ. وربما أسسوا في الهيكل أيضاً عبادة إله الخمر، دوشارا، الذي يعرف اليونانيون على أنه ديونيسيوس. وتزامن إدخال عبادة الآلهة السورية مع عادات سورية في الهيكل.

[٣٣] Tcherikover, ١٨٨.

إذ يشهد مؤلف ٢ مكابيين (٦: ٤) على أن الهيكل امتلأ بالعاهرات اللواتي كن يشتركن في طقوس دينية، وأن هذا ليس من ضمن الديانة اليونانية، بل كان سمة بارزة في ديانة الإلهة السورية. ونخلص من هذا إلى أن هذه العادة لم تدخل إلى الهيكل نتيجة العمليات الاضطهاد التي قام بها أنتيوخوس، بل جاءت في وقت سابق، بعد تأسيس الكاتويكيا السورية مباشرة."[٣٤]

لم تؤد هذه الإجراءات المرتبطة بالأكرا، والتي قام بها أبولونيوس، إلاّ إلى تحريض العناصر الأكثر محافظة في المجتمع اليهودي على مزيد من التمرد. كان تدنيس هيكل الرب من قبل أمميين يعبدون آلهة أخرى ويستخدمون عاهرات دينيات أمراً غاية في التطرف. ونتيجة لذلك ترك كثير من اليهود أورشليم بعد إجراءات أبولونيوس في ١٦٨–٦٧ق م.

غير أن أنتيوخوس الرابع لم ينظر بعين الرضا إلى ترك السكان اليهود للهيكل. وقد اتسم اضطهاده لمنطقة اليهودية حتى هذه الفترة بالطابع السياسي، ولم يكن قد اتخذ أي إجراء يعلن فيه عدم شرعية الشريعة الموسوية أو الديانة اليهودية. غير أنه ازداد وضوحاً مع مر الزمن أن الديانة اليهودية نفسها تشكل خطراً على توحيد المملكة. ويضيف ماكلاو فكرة مثيرة للاهتمام:

> كان هذا، كما سبق أن أوضحت، خروجاً على السياسية الدينية السلوقية، ويجب تفسيره في ضوء الأحوال في اليهودية. كانت لأنتيوخوس على ما يُفترض معرفة محدودة بعادات الديانة اليهودية، ولا بد أن شخصاً أو أشخاصاً أعلموه بأن الخصوصيات الدينية لليهود هي التي كانت وراء المتاعب الحديثة في أورشليم، وأنه بتحريمه مثل هذه الممارسات ستكون هنالك فرصة جديدة لترسيخ السلام في منطقة اليهودية.[٣٥]

---

[٣٤] انظر A. Schalit, gen. Ed., *The world History of The Jewish People*, vol. ٦, ١٣٤–٣٦. Cf. I Macc. ١. ٣٣ and Josephus (Antiquities ZII, ٢٥١) لرواية عن بناء هذه الأكرا. يقول ماكلاو في ما يتعلق بتركيبها،

"تم تحصين تله مشرفة على الهيكل ووضع حراسة عليها، لتصبح الأكرا. واحتلتها قوة سلوقية حتى ١٤١ق م (١ مكابيين ١: ٣٣–٤)" (١١٤). ويضيف في مكان آخر، "إن موقع الأكرا غير مؤكد. إذ يرى رأي أنها كانت تقع على التلة الغربية مقابل منطقة الهيكل وتشرف على وادي تايروبون؛ ويرى رأي آخر أنها تقع على التلة الجنوبية الشرقية. انظر W. A. Shotwell, BASOR, ١٧٦ (Dec. ١٩٦٤), ١٠–١٩" (McCullough, ftnt. ١٣, p٢٣٩). يتضمن مؤلَّف شورر أيضاً حاشية حول موقع الأكرا: "يرجح أنها كانت تقع على الناحية الجنوبية من التلة الشرقية، أي جنوب جبل الهيكل" (ftnt. ٣٩,p.١٥٤) ويورد حديثاً أكثر تفصيلاً ويذكر بعض الفروقات بين رأيه ورأي شوتويل.

[٣٥] انظر W. Stewart McCullough, *The History and Literature of the Palestinian Jews from Cyrus to Herod*, ١١٥. *Cf. The Ency. Jud.* لرأي داعم: "يبدو إذاً أن الاضطهاد الديني بدا لأنتيوخوس الوسيلة الوحيدة لتحقيق الاستقرار السياسي في فلسطين، لأن ديانة تلك المنطقة كانت الشيء غير المناسب في إمبراطورية يهيمن عليها الفكر الهلّيني" (٣: ٧٤).

وبالتالي فبعد نحو سنة من الإجراءات السياسية التي اتخذها ابولونيوس بتأسيس الأكرا قام انتيوخوس الرابع باصدار أوامره للاضطهاد الديني (أي في كانون الأول من ١٩٦٧ ق. م) وتعرف هذه الفترة الزمنية التي صدرت فيها هذه الأوامر الاضطهادية بأنها فترة الجيزيروت Gezerot.

تقول ٢ مكابيين ٦: ١ أن أنتيوخوس أرسل مبعوثاً خاصاً لليهودية لتنفيذ مرسومه لكي يجبر اليهود على التعدّي على شريعة آبائهم وعلى عدم العيش حسب وصايا الله. يقول ماكلاو،

هنا منعت الطقوس اليهودية (١ مكابيين ١: ٤٥–٦)، وخُصصت ساحات الهيكل المقدس في الخامس عشر من كسلو من عام ١٦٧ق م لعبادة زيوس أوليمبوس (١ مكابيين ١: ٥٤؛ ٢ مكابيين ٦: ٢)، الذي ربما كان لقبه الآرامي 'رب السماء' (بعل شمين). ويبدو أن التركيب الرئيسي للهيكل تُرك سليماً، بالإضافة إلى مذبح المحرقة، على الرغم من أنه أقيم مذبح وثني فوق مذبح المحرقة (١ مكابيين ١: ٥٩؛ ٤: ٤٤). ويُفترض بشكل عام أن هذا المذبح الوثني هو "الرجس المخرِّب" المذكور في ١ مكابيين ١: ٥٤ (انظر دانيال ١١: ٣١). وبالإضافة إلى هذا المذبح، يمكننا أن نتوقع نصب تمثال لزيوس أو لرمز متعارف عليه لزيوس، لكن هذا غير مذكور بشكل محدد في أي مكان (cf M Taanith ٤,٦).[٣٦]

لم يقتصر الاضطهاد على تدنيس كامل للهيكل والمذبح، لكن تم حرق نسخ من التوراة أيضاً، كما حُرّم حفظ السبت والاختتان. وفضلاً عن ذلك أُجبر اليهود على الاحتفال بعيد الملك كل شهر والاشتراك في موكب احتفالي تكريماً لديونيسوس. وأقيمت عبر اليهودية مرتفعات ومذابح لتقدم عليها خنازير وحيوانات أخرى. وعيّن الملك مفتشين لضمان تنفيذ هذه الإجراءات.

ونتيجة لذلك، اندلعت الثورة المكابية. وأمكن بعد ثلاث سنوات ونصف، وفي لحظة مناسبة، إعادة تكريس الهيكل. يقول ماكلاو،

"هُزمت جيوش السلوقيين ثلاث مرات حتى الآن، ولا شك أن يهوذا عرف أن معظم موارد الدولة العسكرية المتبقية كانت ذات صلة بالأمر، مثل أنتيوخوس نفسه، في الحملة الشرقية، وأن الفرصة كانت مناسبة لاستعادة الهيكل، فتصرّف وفق ذلك (I Mac ٤: ٣٦–٦); ٢ Mac ١٠: ١–٨; *Ant* XII, ٣١٦–٢٦)

[٣٦] McCullough, ١١٥

وتم تخصيص جنود لمنع أية محاولات تقوم بها الحامية العسكرية السلوقية في الأكرا من التدخل في الخطط اليهودية، التي يبدو أنها تقدّمت دون إعاقة. واختير كهنة لتطهير الهيكل. وفي هذا الأمر لم يرد ذكر لمينيلاوس في أي موضع. وتمت إزالة المذبح الوثني، وبُني مكانه مذبح جديد تماماً. وأُصلحت إجراءات ضرورية على أبنية منطقة الهيكل وتم صنع آنية جديدة للخدمة. وفي الخامس والعشرين من شهر كسلو من عام ١٦٤ق م تم تكريس الهيكل رسمياً لخدمة إله إسرائيل، بعد ثلاث سنوات ونصف من استيلاء أنتيوخوس عليه في عام ١٦٧ق م."[٣٧]

كان انتصار إعادة تكريس الهيكل موفَّق التوقيت، إذ سيموت أنتيوخوس الرابع بعد ذلك بفترة قصيرة، بعد انشغاله في حملات في بارثيا وأرمينيا.

تقاعد في بابل ثم إلى تاها (أصفهان) في فارس. وهنا، وبعد أن سمع عن نجاح المكابيين في إعادة عبادة الهيكل في أورشليم، مات مجنوناً في عام ١٦٤ق م.[٣٨]

استنتاج

كانت الفترة ما بين ٢٠٠–١٦٤ق م من أكثر الفترات اضطراباً في التاريخ اليهودي، ولا شك أن أنتيوخوس أبيفانس لعب دوراً هاماً في تلك الفترة. إذ جاءت التوترات المرتبطة بالسياسة الدولية ونمو الهلينية كذروة تحت حكمه. ولا أحد يمكن أن يشك في أنه كان إنساناً شريراً. فالشدائد والاضطهادات التي فرضها على الشعب اليهودي ستصوّره إلى الأبد كشخص يستحق الازدراء. غير انه يتوجب توضيح أمر في ختام هذا البحث، وهو يتعلق بسؤال بسيط. فما الذي حدث أثناء تلك السنة الأخيرة (١٦٧ق م) ليحوّل مسار الأمور من إجراءات سياسية ينفّذها أبولونيوس إلى إجراءات دينية بدأها أنتيوخوس الرابع؟

[٣٧] المرجع السابق، ١١٨–١٩.

[٣٨] Bruce K. Waltke, "Antiochus IV Epiphanes," in *ISBE*, ١: ١٤٦. Cf I Macc. ٦: ١–١٦; Appian Syr. ٦٦; Polybius xxi.II;xxxi.٩; Josephus *Ant*. Xii.٨,١ ff.

ذكر تاسيتاس أن أنتيوخوس الرابع حاول أن يقضي على العقيدة اليهودية ويدخل عادات يونانية (Hist. V. ٤,٧)، لكن ربما اعتمد في رأيه هذا على بعض المصادر المعادية لليهود، مما لا يعطي وزناً كبيراً لملاحظته. لكن يمكن تقديم تفسير أفضل يتمثل في الأحداث التي نشأت ضمن الأكرا، وهي حركة سياسية كان لها مضاعفات هامة بسبب التغيرات التي نتجت عنها في مجال الممارسات الوثنية. ويرى تشريكوفر في حزب الحسيديم Hasidim المفتاح لفهم الاضطهاد، ويصر على أنهم حفزوا على نفاد صبر اليهود بشكل متصاعد. يقول،

"خلقت إجراءات أبولونيوس تمرداً، وأضفى إدخال الديانات السورية الوثنية إلى الهيكل رائحة دينية على الانتفاضة. لقد واجه الإيمان اليهودي قبل مرسوم أنتيوخوس، لا بعده، خيارين: إمّا التخلي عن وجوده، أو النضال من أجل بقائه. لقد أخذت الانتفاضة اليهودية التي اندلعت في بداية الأمر كمقاومة طبيعية لإجراءات أبولونيوس أخذت شكل حركة دينية في ٧/١٦٨."[٣٩]

وهو يجد دعماً لرأيه هذا في مصادر مثل ١ مكابيين ٧: ١٢؛ انظر ٢: ٢٩. ويدل كونهم منظمين كجماعة محاربة بعد الثورة المكابية (ما عدا يوم السبت الذي لم يكونوا ليحملوا السلاح فيه) على أنهم كانوا نشيطين قبل عمليات الاضطهاد أيضاً. ومن هنا، كان الحسيديم Hasidim العامل الرئيسي وراء ما فعله أنتيوخوس الرابع:

إذا كانت الثورة التي يعتبرون وصايا التوراة ذات قدسية قصوى تم قيادتها من قبل الحسديم، وإذا كان التكريس للشريعة الموسوية هو شعار الانتفاضة، فإنه كان لا بدّ من استئصال الشريعة إذا أُريد للتمرد أن يُخمد."[٤٠]

يمكننا أن نعزو الاضطهادات الدينية التي أجراها أنتيوخوس في عام ١٦٧ق م إلى عوامل كثيرة، لكن يمكننا أن نبني نظرية معقولة حول الروح العدائية المتصاعدة لدى اليهود التي غذّاها الحسيديم. وفي ضوء التوترات السياسية مع مصر وروما إلى الجنوب، لم يكن في مقدور أنتيوخوس الرابع أن يكون متساهلاً في سياسته تجاه منطقة اليهودية. فقد شكل المجتمع الديني المحافظ في أورشليم تهديداً كبيراً لسيطرته عليها، فلجأ إلى إجراءات أحس بأنها ستضع حداً لهذا التهديد، وقرر أن يقضي على إيمانهم. وعلى الرغم من أن الله سمح لأنتيوخوس بأن يضطهد منطقة اليهودية في ذلك الزمن، إلاّ أنه لم يسمح له بأن ينفذ خططه الشيطانية بشكل كامل.

---

[٣٩] Tcherikover, ١٩٦.

[٤٠] المرجع السابق، ١٩٨.